

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(119) (قَالَوَا حَرِّ قُوهُ وَانصُرُوا ءَالَهُتَكُمُ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ *
قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ
كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْخَسِرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي
بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ *) (1)، وغادر إبراهيم العراق إلى فلسطين، وبلي هناك
بالهجرة إلى مصر، وأخرى إلى حيث وضع ولده وزوجته عند بيت الله الحرام، وهنا فوجيء
بالامتحان القاسي بذبح ولده - وهو اسماعيل في أشهر الروايات - على سبيل الإيحاء الإلهي في
المنام: (فَلَمَّاسَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي
الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّاسَا أَسْلَمْنَا وَتَلَّاهُ
لِلْجَبِينِ * وَزَادَ يَنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِن هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلِينَ * وَفَدَّ يَنَاهُ
بِذَبْحٍ عَظِيمٍ *) (2). فكان من الأب أن امثل الأمر المولوي، وكان من الابن أن استجاب
لهذا الأمر بطلب فعله، وتدارك الله عبديه، وشكر لهما صنعهما، ونوّه بذكرهما، وإعتبرهما من
المحسنين المستحقين للجزاء والثواب، على هذا البلاء والامتحان، وفداه بذبح عظيم. ولم يزل
إبراهيم عليه السلام مناراً في الاختبار السرمدي، وهو في أواخر حياته، وقد من الله عليه
بالذرية، فذكر الله على ذلك وحمده: (رَبِّ بَشِّرْنَا بِغُفْرَانٍ وَلَوْ أَلَدْنَا *
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ *) (3). وكان إبراهيم عبداً منيباً، ورجلاً
كريماً سمحاً، وممثلاً لأوامر الله تعالى ينفذها حرفياً، فأقام القواعد من البيت يساعده
عليه اسماعيل، واستقبل الأضياف، وحاجج الملائكة في قضية قوم لوط، ودعا إلى الله بكل ما
استطاع، وقابل الهجرتين وسواهما بقلب سليم، ودعا إلى الله وأتاب إليه، كل ذلك مما لا شك فيه،
وعليه طواهر الكتاب، والذي يبدو أنه أختبر من قبل الله تعالى أواخر أيامه بكلمات فأتَمهن:
(وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ *) (1) الأنبياء: 68 - 71. (2)
الصفات: 102 - 107. (3) إبراهيم: 39.